

متى أكمل دور الشطرنج؟

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشاروني



رسم
عادل البطراوي

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي
النجاة - القاهرة

لم أكن قد شُغِفْتُ من النوم ، عندما نزعْتُ والدتي الغطاء من فوقى فى السادسة صباحًا.

حاولتُ أن أحذب الغطاء ثانية فوق وجهى ، لكن ماما جذبتنى هذه المرة من الفراش إلى الأرض .
جلستُ فوق السجادة وأنا مُغمض العيُنَين .



كنتُ قد سهرتُ حتى الحادية عشرة والنصف من مساء الليلة السابقة ، أحلُّ عشرين مسألة حسابٍ متشابهة ، وأكتبُ درس اللغة العربية خمس مرات ، والمرة الأخيرة كُتِبَتْ فى ساعة ونصف الساعة ، لأننى كنتُ أحسُّ بنعاسٍ شديدٍ وضيقٍ أشدَّ لتكرار كتابة لا أفهم ما يُبرِّرها .

وَكُنْتُ قَدْ حَاوَلْتُ بَعْدَ عَوْدَتِي
عَصْرًا مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، أَنْ أَجْلِسَ سَاعَةً
أَمَامَ الْكَمْبِيُوتَرِ ، لِأَصِلَ إِلَى نِهَآيَةِ دَوْرِ
الشَّطْرَنْجِ الَّذِي كُنْتُ أَلْعِبُهُ مَعَ
الشَّاهَةِ ، لَكِنْ مَآمَا قَالَتْ لِي : " الْعَبْ
بَعْدَ كِتَابَةِ الْوَاجِبِ ، " وَالَّذِي حَدَثَ
أَنْنِي نَمُتُ فَوْقَ مَكْتَبَتِي قَبْلَ أَنْ
أَنْتَهِيَ مِنَ الْوَاجِبِ .



أَنَا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ ، وَالْيَوْمُ هُوَ الْأَرْبَعَاءُ ، وَمِنْذُ يَوْمِ
السَّبْتِ الْمَاضِي لَمْ أَسْتَخْدَمْ أَلْوَانِي ، وَلَمْ أَلْعَبْ مَعَ أَخْتِي بَعْرَانِسَ
الْقَقَارَ (الْجَوَاطِي) الَّتِي كُنَّا نَمَثِّلُ بِهَا الْقِصَصَ الَّتِي أَقُومُ بِتَأْلِيفِهَا .
أَنَا تَلْمِيزٌ مِنَ السَّادَةِ صَاحِبًا حَتَّى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ كُلَّ أَيَّامِ
الْأُسْبُوعِ ، فَمَتَى أَشْبَعُ نَوْمًا ، وَمَتَى أَرْسِمُ ، وَأَمَثِّلُ بِالْعُرَانِسِ ، وَأَكْمَلُ
دَوْرَ الشَّطْرَنْجِ مَعَ الْكَمْبِيُوتَرِ !!!

أَنَا أَشْعُرُ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى الْعَالَمِ !!

في أسف، حكّت لي ابنتي الواقعة التالية .. قالت: كنتُ
مُافرةً بقطار الصعيد إلى جامعة أسيوط. وبجوارى جلس أبُ
وزوجتُه وابنتُهما، التي لا يتجاوزُ عمرُها أربع سنوات.

كنتُ مستغرقةً في
القراءة، لكنّ صراخ الطفلة
وبكاءها أرغماني على الالتفات
إلى ما يحدثُ بينها وبين
والديها. كانتِ الطفلة تصرخُ
قائلةً: "أين عروستي؟" والأبُ
يضحكُ ويقولُ: "ابحثي عنها."
وتبكي الابنةُ قائلةً: "أنا أريد
عروستي!" فتقولُ الأمُ ضاحكةً
أيضاً: "بابا يلعبُ معكِ .. ابحثي
عنها."



وفهمت أن الأب أخذ من ابنته لعبتها وأخفاها ، ورغم شدة
إلحاحها عليه رفض إعادتها إليها ، بل راح يستمتع برؤية ثورة الابنة
وصراخها. وبعد وقت ، نيت الطفلة عروستها ، وبدأت تفتح كيساً من
الحلوى. وبسرعة اختطف الأب الكيس من بين يديها ، ووضع كل ما
به في فيه وهو يضحك.

وعادت الطفلة تصرخ وتبكي ، والأب يقيقه ويقول: "لا بد أن
تعرفي الفرق بين اللعب والجدة!"

تقول ابنتي: لم أتمالك نفسي من أن أقول للأب والأب:
"الأطفال ليسوا لعبة يتلى بها الكبار!! إنكما تفقدان نفسية ابنتكما
الصغيرة ، وتحطمان الثقة التي يمكن أن تقوم ببنكما وببنتها."



امتحان تحت التهديد !!

حكى لي صديق، قال: في عربة مترو بمصر الجديدة، كنتُ
أجلسُ وأمامي أمٌ بجوارها ابنتها الصغيرُ، وقد فهمتُ من حديثهما أنه
في الرابعة الابتدائية.

كانت الأمُ تراجعُ مع صغيرها امتحان اللغة العربية، الذي
كان قد انتهى منه منذ قليل، قالت له:



"ماذا كتبت في موضوع التعبير؟ اذكر لي كلمة كلمة."

أجاب الصغير: "لا أتذكر!"

هنا انفجرت الأمُ
تقولُ في تهديدٍ: "عندما
نصلُ البيتَ، ستكتبُ
الموضوعَ مرةً ثانيةً، وإذا
كذبتِ، ربُّنا سيُدخلُكَ
النارَ."



أجاب الصغيرُ وفي
عينيه كلُّ علاماتِ الرعبِ:
"حاضر.. سأكتب!!"

وعادتِ الأمُ تنهالُ على ابنها بالأسئلةِ، والصغيرُ يُجيبُ،
ويُقسمُ باللهِ العظيمِ بعدَ كلِّ إجابةٍ أنه صادقٌ، وإنَّ جعلهُ الرعبُ
يتلجلجُ في الكلامِ ويكادُ يبكي.

ونميتُ أن أطلبَ من تلكِ الأمِّ أن تكتبَ هي موضوعًا،
وبعدَ ساعةٍ أطلبُ منها أن تُعيدَ كتابةَ نفسِ ما كتبتُ كلمةً كلمةً، وأن
تُقسمَ صادقَةً على ذلكِ.

أما أنتِ أيها الصغيرُ، الذي وقعتَ فريسةً تلكِ الأمِّ المريضةِ
بالقلقِ، فكنْتُ أودُّ أن أسمعَ منكِ كمِ أنتِ واثقةٌ من نفسكِ ومن
نجاحكِ، وأنتِ على استعدادٍ لأداءِ امتحانِ اليومِ التالي، مهما
كانتِ إجاباتُكِ في امتحانِ اليومِ السابقِ.

مع أن الكبار لا يعرفون كيف يرسمون !!

الصغيرة "ساندرا" تحب الرسم جداً ، وترسم لوحات كثيرة ،
وتهتم أمها برسومها ، وتعلقها في أنحاء البيت ، أو بقطعة مغناطيس
على باب الثلاجة ، وكثيراً ما تقول لها: "حتى الكبار لا يعرفون كيف
يرسمون كما ترسمين يا ساندرا."

وفي المدرسة ، طلبت مُدرسة
التربية الفنية من ساندرا أن ترسم في
البيت موضوعاً عن أعياد رأس السنة. وفي
الحصّة التالية ، جاءت ساندرا وقد رسمت
لوحة جميلة "للعيد" يقدم عروسة إلى
طفلة صغيرة. وفوجئت ساندرا بالمدرسة
تقول لها في عنف وتأنيب:

"هذا ليس رسمك. من المؤكد أن
شخصاً كبيراً رسمه لك.. هذا عشت
وعيب."

وأصرت الصغيرة في عناد على أنه
رسمها ، واندفعت تقول: "وأنا أستطيع أن
أرسم نقى الرسم الآن ، على السبورة."



ووقفت ساندرا أمام السبورة ، وهي لا تكاد ترى بسبب
الدموع التي تملأ عينيها . وأعادت رسم اللوحة بنفس تفاصيلها ، بل
وأجمل .

لكن المعلمة تجاهلت ما رأت ، وعادت تقول في لهجة باردة :
"الآن تعلمنا أنه يجب ألا يرسم لنا رسومنا أي شخص آخر."
وعادت ساندرا إلى مكانها في الفصل ، ودموعها تنحدر على

خدتيها .



وفي البيت ، لاحظت
الأم أن ساندرا تُصاب في يوم
الثلاثاء من كل أسبوع بآلام
في المعدة ، ولا تذهب إلى
المدرسة .

ثم تبين أن ذلك اليوم
هو يوم درس التربية الفنية !!



نحن... والحق في التعبير !!

من خلال أنشطة مهرجان القراءة للجميع ، وفي لقاء مع نادي الموهوبين ، بجمعية المرأة والمجتمع في منطقة شعبية بالجيزة ، كنا نتجاوز حول حق الطفل في التعبير ، الذي أكدت عليه الاتفاقية الدولية لحقوق الأطفال.

ووقفت الصغيرة "سلمى

صباحي" ، وحكت أنها كانت تلعب

في حديقة عامة ، ويجوارها أحد

الصغار يلعب بلعبة أطفال على شكل

مدب صوت ، وفوجئ الأطفال

بجندى ينقض على الصغير ، ويسلمه

إلى أحد رجال الأمن ، الذي انهل

على الصغير صفعا ، وانتزع منه اللعبة.



وتوقف الأبطال عن اللعب ، وقد ملأهم الاضطراب والخوف
بسبب ما أصاب زميلهم . لكن سلمى تشجعت . وذهبت الى رجل
الأمس تائهة : "لماذا صرخت زملي ؟"
قال رجل الأمس : "لأن مدونات الصوت مسموعة ! يتأثير
الفرع بين الناس ."

وعادت الصعرة تقول : أنا أشاهد التلفزيون ، وأسمع ابي
الراديو . ولم أسمع بهذا النوع . وقبل الغياب وحرمانا من اللعب
يحب أن يعرف ما هو المسموع .

العريب أن والدته
سلمى كانت تحضر الدوة
معا . وصار حسي برايتها
فأله الحقيقة ، أنا
أخشى على اسي من
صراحتها وشجاعتها .

وسألت نفسي :
'هل نحن كمجتمع
نعلق كل هذا القلق ، من
استخدام حق التعبير عن
النفس ؟!!!'



همسة في أذن نجم !! ١

داخل سنيوهات إحدى الشركات الكبرى لملصقات
الأمريكية. بمدينته "أورلاندو" بولاية فلوريدا الأمريكية. وفي عرص
عام تقدّمه الحيوانات التي نشارك في تمثيل الأفلام. تم استدعاء
طفل في التاسعة من عمره من بين المتفرجين، ليتم على المسرح
المُتّسع.

ثم طلبوا منه أن يهمس
في أذن كلب يسروبه من
البحوم. ويذكر له اسم قطعه
من ملابسه، ليخبره الكلب
مثلها. وأخبر الطفل على
أذن الكلب، ثم عاد الكلب
المسرح.

وبعد لحظات عاد الكلب
يمسك قطعة صغيرة حمراء، ما
إن رآها الطفل، حتى أسرع
يهرأ رأسه يمينا ويسارا، ليؤكد
أن هذه ليست قطعة الملابس
التي حدّدها.

عندئذ طلب المُدرّب
من الكلب أن يُصخّخ خطأه



واختفى الكلبُ ، ثم ظهر ثانية وقد تدلّت من بين أسنانه قطعة
من ملابس السيدات.

وراقبتُ الفتى الصغيرَ يحملُ بدهشةٍ وذهولٍ في هذا الذي
أحضره الكلبُ ، وقد أحسّ بالحرج الشديد ، فاحمرت وجنتاهُ ،
وانطلقَ يلوّحُ بذراعيه راقضاً بشدة ما رآه.
وأثار ردُّ الفعل العنيفُ هذا من الطفل منات الحاضرين ،
فالطلقت قهقهات ألف متفرّج من الكبار عاليةً ساخرة !!



هنا اندفعَ الطفلُ يغادرُ المسرحَ مُتَعَثِّراً ، وقد أدرك ، في أسفٍ ،
أنهم استخدموه بغلظةٍ وفي قسوةٍ ، لمجرد تسليّة جمهور من
المتفرّجين الكبار !!

على المرح البسيط المقام في ساحة الوحدة المُجمّعة ،
التي تضم عيادة الطبيب والمدرسة ومركز الرعاية الاجتماعية
والإرشاد الزراعي ، قال عضو البرلمان الصغير ، التلميذ في مدرسة
شارونة الابتدائية:

"لقد جاء إلى مدرستنا سبعة مُدربين ، واحداً بعد الآخر ،
وتسبب هذا في عدم استقرار المدرسة ، وبقاء متابعة احتياجاتها."
وقال آخر: "وتغيبُ عن المدرسة في كل يوم أكثر من ثلاثين
تلميذاً."

وطلب الثالث الكلمة ، وقال: "وعندما يمرض أخى في الليل،
لا نجدُ الطبيب."

وأضاف الرابع قائلاً: "وعدمُ نظافة طرقات القرية ، يسببُ كثيراً
من الأمراض."



استمعتُ مع كل أعضاء المجلس القروي إلى هذا النقد ،
الذي يُوَجَّهُ الأطفالُ في جراحة وثبات ، فتقبلهُ الجميعُ ، حتى قبل
أن يقفَ ممثلُ الحكومة في البرلمان الصغير ويقول : "تم اختيارُ
مُدْرَسٍ مُقيمٍ في القرية ، ليقومَ بأعمالِ الناطقِ ، وبذلك سيتحققُ
الاستقرارُ .. وغيابُ التلاميذِ منوالية كل بيت في القرية . وإذا كانتِ
المدرسةُ يتقصُّها الكثيرُ حتى تجذبَ التلاميذَ ، فنحنُ نعملُ على
سرعة استكمال ما تحتاجهُ المدرسةُ .. والطبيبُ لا يبيتُ في الوحدةِ
المُجمَّعة ، لأن مكن الأطباءِ يحتاجُ إلى ترميمٍ ، وسيتِمُّ هذا قريبًا ،
فهى منوالية كل فردٍ من أبناء القرية ."
كان هذا المشهدُ الديمقراطيُّ ، هو إحدى فقراتِ عيدِ
الطفولة ، الذي دعَّني قريتي إلى المشاركة فيه .

إن شارونة من قرى محافظة

المنيا بالصعيد ، وتقعُ شرق النيل ،
حيثُ تقلُ الخدماتُ بسببِ ابتعادِ
شارونة عن الطرقِ الرئيسية التي
تربطُ بين المحافظات .

لكن ما أعمقُ التغييرُ الذي
وجدتهُ قد وصلَ إلى كل إنسانٍ ، وما
أكثرُ الحقوقِ التي تنبها إلى حقِّهم
في المطالبة بها !!

شارونة

الخباب

أين الطبيب؟

في لقاء مع مشرقات الحصانة ورياض الأطفال ، كنا نتحدث
عن ضرورة تجنب أسلوب التسلط والعقاب في علاقة الآباء بالأبناء.
وفي نهاية اللقاء ، وقف صبي عمره عشر سنوات ، جاء بصحبة
والديه ، وطلب أن يسأل سؤالاً.

ثم ترك مكانه بحوار والديه ، وجاء إلى جانبي على المنصة ،
وقال بصوت شبه هامس: "هل توافق على ما يفعله والدي؟ إنه
بمجرد أن تنتهي الدراسة ، ونبدأ العطلة الصيفية ، يُحضر لي الكتب
المدرسية للسنة القادمة ، ويطلب مني أن أبدأ المذاكرة للعام
الجديد؟!"

ثم اختنق صوته بالبكاء.

والتفت إليه ، فوجدت الدموع تملأ عينيه وتندثر على وجهه ،
احتجاجاً على هذا الأسلوب المتشدد الذي يمارسه والده ، وقد
تصور أن المواد المدرسية هي الشيء الوحيد الجدير بالاهتمام في
حياة ابنه ، مناسياً أن هناك آلاف الخبرات التي يجب أن يتعرف
عليها الأطفال إلى جانب ما يوجد في الكتب المدرسية : من
قراءات خارجية للقصص وكتب الثقافة العلمية ، وألعاب رياضية
وذهنية ، وممارسة الفنون من رسم وموسيقى وتمثيل ، والذهاب في
رحلات ، وزيارات إلى المتاحف ، وقضاء أوقات في صحبة الزملاء
والأصدقاء ، أو في المكتبات وقصور الثقافة والوادي والساحات
الرياضية.